حقوق المعاق في الشريعة الإسلامية

بقلم : الدكتور مروان القدومي ـ أستاذ مشارك

لو ألقينا نظرة فاحصة في الواقع الذي نعيش فيه لرأينا من هؤلاء المنكوبين من أصيبت أجسامهم وحواسهم بأمراض مزمنة ، وعاهات مختلفة ؛ وأصبحوا في حالة صعبة من العجز والضعف وعدم القدرة على مواصلة أعباء العمل وتكاليف الحياة .

وإذا بحثنا عن السبب الذي أدى إلى انتشار ظاهرة الإعاقة الجسدية ، والإعاقة الاجتماعية بشكل واسع وجدنا أن المعاناة التي حلت بالشعب الفلسطيني أدت إلى وقوع حوادث نجمت عنها تلك الظاهرة .

لا شك أن هذا الموضوع جدير بالاهتمام والدراسة ، من أجل الوقوف على تبيان أنجع الوسائل لتحقيق العيش الكريم لمثل هؤلاء المنكوبين ، حتى يشعروا بروح العطف والتعاون والرحمة ... وأنهم محل العناية الكاملة في نظر الدولة والمجتمع على السواء ، تحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام "الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء"[1] .

ويهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة عن مفهوم الإعاقة وأصناف المعاقين وأنواعهم ، وبيان طريقة الإسلام في تنظيم التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع ؛ وبذلك يمكن بموجب هذا التنظيم أن نتعرف على حقوق المعاق من منظور إسلامي ، وعلى طريقة توجيهه وتأهيله ، فقد فطن المسلمون السابقون لهذه المشكلة فبنوا دوراً لهم سميت بالرباطات وهي منتشرة في البلاد الإسلامية وسوف نعرض في هذا البحث أيضًا لجملة معايير تؤهل هؤلاء المعاقين وأمثالهم لتأمين حد الكفاية لهم ، ليشعروا بشخصيتهم وكيانهم ، وبالتالي لتزول من أذهانهم عقدة مركّب

---

١ أبو داود : سنن أبي داود جـ ٤ ص٢٨٥ رقم الحديث ٤٩٤١ .

الضعيفة الكليلة ، وإذا بالماء يتفجر من تحت عقبه ، وكان هذا الماء غذاء ودواء ، فشرب منه فكان غذاء ، واغتسل منه فكان دواءً وشفاءً ، قال سبحانه ﴿ اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ﴾[11] .

ويلخص الدكتور محمد أبو فارس فوائد الابتلاء بالنسبة للفرد فيما يلي :

١. الناحية الروحية : في مرحلة الابتلاء يزداد المؤمن تعلقًا بالعبادات ، ويكثر من النوافل ، وتلاوة القرآن ويتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالرجاء والدعاء .

٢. تكفير السيئات والحط من الذنوب والخطايا : قال رسول الله ﷺ :«فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة»"[12] .

٣. الإخلاص : إن الابتلاء والمحن من شأنها أن تنقي نفس المؤمن من الهوى .

٤. زيادة الثقة بنصر الله : فالإنسان في الظروف الحرجة يلجأ إلى الله سبحانه ، فهو وحده الذي يخفف عنه ويثبته ويصبره .

٥. يعرف المبتلى منزلته عند الله وقوة دينه .

٦. الابتلاء وسيلة لدخول الجنة : ومن نعم الله تبارك وتعالى على المبتلى أن الله سبحانه يكافئه على صبره بالجنة .

٧. التعرف على معادن الرجال وخصالهم[13] .

فكرة الضمان الإجتماعي :

من الكلمات التي شاعت كثيراً في الأعوام الأخيرة كلمة الضمان الاجتماعي ، وقد أصبح لهذه الكلمة مدلولها الخاص اليوم ، فهي تعني أن الدولة في هذا العصر مسؤولة عن رعاياها في نطاق أوسع مما كانت عليه هذه المسؤولية في العهود الغابرة .

وأن عليها واجب السعي لتحسين وتسهيل معيشة هؤلاء الرعايا بصورة عامة ، وليس هذا فحسب بل إن على الدولة أن تؤمن لكل فرد قادر على العمل عملاً .. إذا لم يستطع هو نفسه أن

---

١١ سورة ص آية رقم (٤٢-٤٤) .

١٢ ابن ماجة : سنن ابن ماجة ٢/١٣٣٤ .

١٣ د. محمد أبو فارس : الابتلاء والمحن في الدعوات ص ١٣٥ - ١٣٦ .

النقص، والشعور بالضعف فعندئذ يكونون لبنات صالحة في هيكل المجتمع ، وأعضاء نافعين في جسم الأمة .

من هو المعاق :

يطلق هذا المصطلح على الشخص الذي استقر به عائق أو أكثر يوهن من قدرته ويجعله في أمس الحاجة إلى عون خارجي[٢] .

أو هو من فقد قدرته على مزاولة عمله ، أو القيام بعمل آخر نتيجة لقصور بدني أو جسمي أو عقلي سواءً أكان هذا القصور بسبب إصابته في حادث أو مرض أو عجز ولادي[٣] .

إن المعاقين ينبغي أن يلقوا من الدولة وأبناء المجتمع كل عطف ومحبة وتعاون وتكافل، ليشعروا بأخوة الإسلام ، وكرامة الإنسان وتأمين سبل العيش الأفضل من أجلهم .

وأنواع القصور التي يتعرض لها الإنسان إما أن تكون بدنية كفقد أجزاء من الجسم أو حدوث خلل أو تشوه فيه ، وأما أن تكون عقلية كنقص في القدرات العقلية ، أو قد تكون حسية كفقد أو نقص حاسة من الحواس .

وأسبابها إما أن ترجع إلى حادث أو مرض أو أنها خَلقية منذ الولادة[٤] .

فهؤلاء وأمثالهم ينبغي أن يلقوا من الدولة وأبناء المجتمع كل عطف ومحبة وتعاون وتكافل، ليشعروا بأخوة الإسلام ، وكرامة الإنسان وتأمين سبل العيش الأفضل من أجلهم .

والإسلام بتشريعه الخالد ومبادئه السامية قد راعى حقوق هؤلاء ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مشغولا بأمر جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام حينما جاءه ابن أم مكتوم الرجل الأعمى الفقير ـ وهو لا يعلم أنه مشغول بأمر القوم ـ يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وعبس وجهه وأعرض عنه ، فنزل القرآن بصدر سورة «عبس» يعاتب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عتابًا شديداً ، ويقرر حقيقة القيم في حياة الجماعة

---

٢ د. محمد عبد المنعم نور : الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل ، ص ١٥٧ .

٣ صموئيل ويشك : كيف ترعى طفلك المعوق ـ ترجمة د. محمد نسيم رأفت ص ١٦ .

٤ إقبال محمد بشير : الخدمة الاجتماعية ورعاية المعوقين ص ١٠-١١ .

المسلمة في أسلوب قوي حاسم ﴿عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ... ﴾[٥] .

فالميزان الذي أنزله الله للناس مع الرسل "ليقوموا به القيم كلها هو ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾[٦] .." .

وقد نهى الإسلام عن اللمز وهو السخرية من الناس بالقول كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض ، أو اتهامه بخليقة سيئة أو التعريض بذلك لأنه يتنافى مع مكارم الأخلاق وقد توعد الله الهمازين بالويل والثبور ، قال تعالى : ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾[٧] ، ونعت القرآن باللمازين ﴿ الذين يلمزون المطوعين ... ﴾[٨] .

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله تعالى قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته فيهما الجنة، يريد عينيه"

الحكمة من الإعاقة

قد يبتلى المؤمن بفقد جزء من جسمه ، كذهاب بصره أو سمعه أو رجله أو يده ، فإذا صبر على ذلك كان له الثواب الجزيل ، فعن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"إن الله تعالى قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته فيهما الجنة، يريد عينيه"[٩] .

وتذكر كتب التفسير أن الله تبارك وتعالى قد ابتلى أيوب عليه السلام في جسمه وولده وماله وزوجه ، فصبر على هذا الابتلاء ورضي بقضاء الله ، فلم يتبرم ولم يضجر أو يتضجر ، وامتدحه اللهبقوله ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب ﴾[١٠] .

وكان لهذا الصبر الذي شهد الله به أكثر من ثمرة : معافاة أيوب عليه السلام من الأمراض، وكان العلاج من الرب تبارك وتعالى إذ أمر أيوب عليه السلام وألهمه أن يركض الأرض برجله

---

٥ سورة عبس : آية رقم (١) .

٦ سورة الحجرات : آية رقم (١٣) .

٧ سورة الهمزة آية رقم (١) .

٨ سورة التوبة آية رقم (٧٩) .

٩ البخاري : صحيح البخاري بفتح الباري ١٢/٢١٩ . ٢٢٠ .

١٠ سورة ص آية رقم (٤٤) .

يؤمن ذلك العمل[١٤] .

ولعل من أهم ما جاء به الإسلام في المجال الاقتصادي مبدأ الضمان الاجتماعي بمعنى كفالة المستوى اللائق لمعيشة كل فرد ، وهو ما عبر عنه رجال الفقه الإسلامي القدامى باصطلاح حد الكفاية تمييزاً له عن حد الكفاف ، بمعنى أن لكل فرد وجد في مجتمع إسلامي احتياجات ضرورية للمعيشة تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فإن لم تسعفه ظروفه الخاصة كمرض أو شيخوخة أو تعطل عن العمل في تحقيق هذا المستوى اللائق ، تكفل له بذلك بيت المال أي خزينة الدولة ، وذلك أيًا كانت جنسية هذا الفرد وأيًا كانت ديانته[١٥] .

الضمان الاجتماعي ، يعني أن الدولة في هذا العصر مسؤولة عن رعاياها في نطاق أوسع مما كانت عليه هذه المسؤولية في العهود الغابرة .
وأن عليها واجب السعي لتحسين وتسهيل معيشة هؤلاء الرعايا بصورة عامة .

وحد الكفاية هو أول مراتب الغنى حيث تشبع جميع الحاجات الأساسية المشروعة للإنسان، وقد ذكر بعض العلماء أن الأصل في تحديد الكفاية قوله تعالى :﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾[١٦] .

وأما مقدار ما ينتقل به المحتاج إلى أول مراتب الغنى ، فيختلف ذلك باختلاف صنعته على حسب الظروف الزمانية والمكانية والحالة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين ، وقد ذهب إلى هذا الرأي فقهاء الشافعية والحنبلية[١٧] في رواية .

وذهب المالكية وجمهور الحنبلية وآخرون إلى القول بأن يعطى المحتاج ما تتم به كفايته وكفاية من يعوله لمدة سنة[١٨] .

---

١٤ محمد سعيد العامودي : من تاريخنا ص ٤١ .

١٥ د. محمد شوقي الفنجري : الاقتصاد الإسلامي ص ١٠٠ .

١٦ سورة طه آية رقم (١١٦-١١٩) .

١٧ النووي المجموع ٦/١٩٣-١٩٤ ، علاء الدين أبو الحسن : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٣/٢٣٨.

١٨ عبد السميع الأبي الأزهري : جواهر الاكليل ١/١٣٨ .

لأن للعاجز وأمثاله حقًا في بيت المال ، وله حق الاستحواذ عليه أينما وجده ، قال ابن عابدين :"من له حظ في بيت المال بكونه فقيراً أو عالمًا أو نحو ذلك ، ووجد ما مرجعه إلى بيت المال له أخذه ديانة بطريق الظفر[٣٩] .

ويزيد فقهاء الحنفية أن ولي الأمر إذا لم ينفذ ذلك ، فللقاضي المختص الحكم بتنفيذه ، ويلزم بيت المال بالإنفاق على العاجز المحتاج .

طريقة الإسلام في تنظيم التكافل الإجتماعي :

تعريف التكافل الاجتماعي : أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا أفراداً أم جماعات ، حكامًا أم محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية ؛ بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة ، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد ، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ، ودفع الضرر عن أفراده[٤٠] .

إن تحقيق الحياة المتضامنة حيث الأمان على الحياة والعرض والمال وحيث الكفاية الاقتصادية المالية لجميع أفراد المجتمع هو المعيار الحق الذي تتفاضل الدول في تأمينه لرعاياها وهو دليل على تقدمها وحضارتها .

ويرى الناظر في الشريعة الإسلامية أنها سبقت إلى وضع الركائز والأسس والقواعد التي يقوم عليها التأمين الاجتماعي ، ونشير فيما يلي إلى طائفة منها :

أولا : الوحدة في سبيل السلام العالمي :

نادى الإسلام بالمؤاخاة بين جميع الشعوب وحث على التعاون بينها في سبيل الرفاهية الإنسانية قال تعالى :﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير﴾[٤١] .

وبرزت تجربة (المؤاخاة) المعروفة في مقدمة الممارسات الجماعية التي نفذها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، أول عهد الدولة الإسلامية بالظهور والتشكل ، وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحل بهذه التجربة (الأزمة المعاشية) التي اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم مكة ، مخلفين وراءهم أموالهم وممتلكاتهم .

---

٣٩ ابن عابدين : رد المحتار ١٥٩/٤ .

٤٠ عبد الله علوان : التكافل الاجتماعي في الإسلام ص ١٥ .

٤١ سورة الحجرات آية رقم ١٣ .

وذهب فقهاء الحنفية إلى إعطاء المحتاج قدر النصاب[١٩] .

عمر بن الخطاب والضمان الإجتماعي :

كان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من أتيح له ـ بعد أن اتسعت رقعة الإسلام ـ أن يقوم بتحقيق أول مشروع للضمان الاجتماعي ، بطريقة فذة مثالية وفي أسمى صورة عرفها تاريخ الإنسان .

إن التاريخ ليسجل بمداد الفخر والإعجاب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع نظامًا كاملاً للضمان الاجتماعي ، على أساس تعاليم الإسلام .

إن الإسلام هو الذي أوجد لأول مرة في تاريخ العالم فكرة الضمان الاجتماعي ﴿والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم﴾[٢٠] ، والإسلام ـ ولا فخر ـ هو الذي جعله "حقًا" وليس "إحسانًا" وكان الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه يتولى تطبيق ذلك على أكمل وأدق ما ينبغي أن يكون ، وعلى مثل ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، سار خليفته الأول أبو بكر الصديق .

إن التاريخ ليسجل بمداد الفخر والإعجاب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من وضع نظامًا كاملاً للضمان الاجتماعي ، على أساس تعاليم الإسلام ، وكان أسلوبه البالغ المدى من حيث الدقة والرأفة والحزم في تطبيقه لهذا النظام الكامل ، من أروع ما تحدث به الناس على مر العصور .

كان أساس هذا النظام إنشاء الدواوين وتقييد أسماء الناس ، وفرض العطاء لهم جميعًا على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ، وكان يفرض للمنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم فإذا بلغ زاده[٢١] .

وكان عمر يرى أنه مسئول عن كل ما يصيب الإنسان والحيوان داخل الدولة الإسلامية حيث

---

١٩ ابن الهمام : شرح فتح القدير ٢/٢٧٩.

٢٠ سورة المعارج آية رقم (٢٤-٢٥) .

٢١ محمد سعد العامودي : من تاريخنا ص ٢٢٠ .

ابن سعد : الطبقات جـ٣ ص٤٦ .

وأوجب على أهل كل حي وقرية ومدينة أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تكافل وتعاون يرق غنيهم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم ، حتى لقد ذهب جماعة من الفقهاء منهم ابن حزم إلى مسئولية البلد الذي يموت أحد أفراده جوعًا إذ ألزم أهله دفع الدية متضامنين إلى ذويه كأنهم شركاء في موته ، لتقصيرهم في واجب التكافل الاجتماعي ؛ وفي هذا يقول الرسول عليه السلام :"أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع ، فقد برئت منهم ذمة الله تعالى"[٣٥] ، فحقق الإسلام بذلك التكافل الاجتماعي في نطاق الحي والقرية والمدينة[٣٦] .

وهناك تكافل بين الفرد والجماعة ، فالتعاون بين جميع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة ، في حدود البر والمعروف ، والأمة مسؤولة عن حماية الضعفاء فيها ، ورعاية مصالحهم وصيانتها ، فعليها أن تقاتل عند اللزوم لحمايتهم .

يقول الرسول عليه السلام : "أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع ، فقد برئت منهم ذمة الله تعالى" ، فحقق الإسلام بذلك التكافل الاجتماعي في نطاق الحي والقرية والمدينة .

والأمة مسؤولة كذلك عن فقرائها ومعوزيها أن ترزقهم بما فيه الكفاية ، وفي أكثر من مرة يعلن الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعهد الدولة للفقراء والضعفاء والعاطلين والعاجزين "من ترك كلاً - أي ذرية ضعيفة - فليأتني فأنا مولاه"[٣٧] .

وفي حديثه الشهير :"ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ... "[٣٨] ، يعلن عليه الصلاة والسلام مسؤولية الحاكم أو الدولة الإسلامية عن كافة رعاياها مسؤولية شاملة ، ويمكن أن نحدد مسؤولية الدولة في واجبين هامّين :

أ. تأمين موارد المال .

ب. توزيع المال على المستحقين .

وكذا في طريقين أساسيين ، أولهما وجوب تهيئة فرصة العمل لكل من يقدر عليه ، والثاني رعاية العجزة وأمثالهم . فالدولة تتحمل مسؤوليتها في سد حاجات المعوزين من مورد بيت المال ،

---

٣٥ أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المجلد الثاني ص ٣٣ .

٣٦ د. علي عبد الواحد : أثر تطبيق النظام الاقتصادي في المجتمع ، ص ٥١٥ .

٣٧ مسلم : صحيح مسلم مجلد ٣ ص ١٢٣٨ رقم ١٦١٩ .

٣٨ مسلم : صحيح مسلم ج٣ ص ١٤٥٩ رقم الحديث ١٨٢٩ .

يقول :"لو مات جمل ضياعًا على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه"[٢٢] .

وثيقة فقهية تاريخية من عهد عمر بن عبد العزيز :

ومن الوثائق التي تركها التاريخ الإسلامي ما كتبه الإمام ابن شهاب الزهري للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز عن مواضع السنة في الزكاة ليعمل بها في خلافته ، فذكر فيما ذكر:"ان فيها نصيبًا للزمنى والمقعدين «أصحاب العجز الأصلي» ونصيبًا لكل مسكين به عاهة لا يستطيع عيلة وتقليبًا في الأرض «أصحاب العجز الطارئ كالعامل الذي يصاب في عمله والمجاهد الذي يصاب في الحرب .

ونصيبًا للمساكين الذين يسألون ويستطعمون ، ونصيبًا لمن يحضر المساجد من المساكين الذين لا عطاء لهم ولا سهم ولا يسألون الناس ، ونصيبًا لمن أصابه فقر وعليه دين ولم يكن شيء منه في معصية الله ، ولا يتهم في دينه .

ونصيبًا لكل مسافر ليس له مأوى ، ولا أهل يأوي إليهم ، فيؤوى ويطعم وتعلف دابته حتى يجد منزلا أو يقضي حاجته»[٢٣] .

ومن هذه الوثيقة الفقهية التاريخية نجد أن الضمان الاجتماعي الإسلامي ، ضمان شامل لكل أصناف المحتاجين في المجتمع ، شموله لكل حاجاتهم المتنوعة .

وأكثر من ذلك ، فقد كان عمر بن عبد العزيز يأمر عماله بالتحري عن المحتاجين من أهل الذمة ليجري عليهم العطاء من بيت المال ، فها هو يكتب إلى عامله في البصرة عدي بن أرطاه "أما بعد : فانظر إلى أهل الذمة فارفق بهم ، وإذا كبر الرجل منهم وليس له مال فأنفق عليه، فإن كان له حميم فمر حميمه ينفق عليه ، وقاصه من جراحه كما لو كان لك عبد فكبرت سنه لم يكن لك بد من أن تنفق عليه حتى يموت أو يعتق"[٢٤] .

وهكذا ضمن عمر لغير المسلمين ـ في ظل دولته ـ كفالة المعيشة الملائمة لهم ومن هذا كله يمكن القول : إن الدولة الإسلامية يجب عليها إعالة المعوزين والمحتاجين في مجتمعها : مسلمين كانوا ، أو غير مسلمين .

---

٢٢ الطبري : تاريخ الطبري ٤/٢٠٢-٢٠٣ .

٢٣ أبو عبيد : الأموال ص ٥٧٨-٥٨٠ .

٢٤ ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ٥ ص٣٨٠ .

ومعالجة أمرها[٣٠] .

ويحل الإسلام المشكلة عن طريق تأمين المعيشة وتوفير الحاجات الأساسية للإنسان على أساس أن الله سبحانه وتعالى قد أودع في الأرض ما يشبع الحاجات المشروعة لجميع الناس ، وأن أي خلل يحدث في ذلك يعود إلى أحد أمرين : تقصير الإنسان في استخراج الثروات المتاحة والمكنوزة في الأرض ، وعدم الالتزام بالقواعد المقررة في المنهج الإلهي لضبط عمليات الانتاج والتوزيع[٣١] .

وتمتاز الرعاية الاجتماعية في الإسلام بأنها تشمل كل ما هو في حاجة إليها من إنسان أو حيوان ، ففي الحديث الشريف "في كل كبد حراء أجر"[٣٢] .

ويعتبر الإسلام المسلمين كالجسد الواحد ، إذا اشتكى بعضه اشتكى كله ، مصداقًا للحديث "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"

ومنحت تعاليم الإسلام كل إنسان حقوقًا طبيعية لا يجوز إهمالها ، كحقه في الحياة ، وحقه في الحرية وحقه في التعليم ، وحقه في الكرامة الإنسانية وحقه في التملك لما أحله الله تعالى له .

ويعتبر الإسلام المسلمين كالجسد الواحد ، إذا اشتكى بعضه اشتكى كله ، مصداقًا للحديث "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٣٣] .

ومن عظمة الإسلام أنه أعلن مبدأ التكافل الاجتماعي ورفع شعاره ودعا المسلمين إلى تطبيقه في جميع مجالات حياتهم ؛ قال تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[٣٤] .

فأوجب على الأغنياء أن ينفقوا على الفقراء والعاجزين عن الكسب من أقربائهم على ما هو مفصل في كتب الفقه الإسلامي ، فحقق بذلك التكافل الاجتماعي في نطاق الأسرة .

---

٣٠ محمد المبارك : نظام الإسلام ـ الاقتصاد ص ١٢٨ .

٣١ د. عبد السلام العبادي : المفهوم الإسلامي للحاجيات الأساسية للإنسان ص ٣١٥ .

٣٢ أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، مجلد ٢ ص ٢٢٢ .

٣٣ المناوى : فيض القدير المجلد الخامس ص ٥١٤ رقم الحديث ٨١٥٥ .

٣٤ سورة المائدة : آية رقم (٢) .

وفرضت الدولة فروضًا للمرضى بأمراض مزمنة تعجزهم عن العمل - (الزمنى) - ولقد أراد بعض الولاة - ومنهم صاحب ديوان دمشق - أن ينفق عليهم صدقة ، دون أن يحدد لهم من بيت المال حقوقًا واجبة ومفروضة ، فشكوه إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه أن يفرض لهم حقوقًا واجبة ، لا مجرد صدقات وإحسانات ، وقال له : "إذا أتاك كتابي هذا فلا تعنت الناس ولا تعسرهم ولا تشق عليهم ، فإني لا أحب ذلك"[٢٥] .

الخدمات العامة في عهد عمر بن عبد العزيز

امتدت الدولة ، وبيت مالها بعطائها إلى الكثير من مجالات «الخدمات» التي تيسر على الناس أمور الحياة ، حتى لقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولاته وعماله في الأقاليم أن يقيموا «الخانات» (النزل ، الفنادق) لنزول المسافرين ، وأصبح «حقًا» للمسافر أن يقيم على نفقة الدولة بهذه «الخانات» يومًا وليلة .

وكان عمر قد توسع في إنشاء مطابخ عامة للناس ينفق عليها من بيت المال .

وعلى طول الدولة وعرضها كذلك ، أمر لكل أعمى بقائد يقوده ويقضي له أموره على حساب الدولة . ولكل مريض أو مريضين بخادم على حساب الدولة ، وكفل اليتامى الذين لا عائل لهم في جميع أقطار دولته العريضة المترامية[٢٦] .

والمرضى وذوو العاهات يأخذون ما يكفيهم من بيت مال المسلمين .

ونتخطى عشرات السنين إلى عهد الدولة العباسية لنرى الخليفة المنصور يأمر ولاته بإجراء الأرزاق للقواعد من النساء اللاتي لا أزواج لهن وعلى الأيتام والعميان ، كما أمر المهدي من بعده بإجراء أرزاق مستديمة على المجذومين[٢٧] .

المرضى والمعوقون في العهود الإسلامية

لقد عني الخلفاء والحكام المسلمون بالمرضى والمعوقين ، ويبدو ذلك واضحًا في اهتمام عمر بن الخطاب وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من خلفاء المسلمين وحكامهم بتوفير

---

٢٥ ابن سعد : طبقات ابن سعد ج٥ ص٢٨١ .

٢٦ ابن سعد : طبقات ابن سعد ج٥ ص٢٧٦ .

د. محمد عمارة : عمر بن عبد العزيز ص١٢٦ .

٢٧ د. عبد المنعم النمر : إسلام لا شيوعية ص٢٩٣ .

الرعاية الاجتماعية لهم .

وقد بلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز في هذا المجال من مجالات الرعاية الاجتماعية أنه حث على إحصاء المعوقين ، وخصص مرافقًا لكل كفيف ، وخادمًا لكل مقعد لا يقوى على القيام .

ومما يذكر في صدد العناية بالمرضى والمعوقين اهتمام بعض سلاطين العصر المملوكي في مصر بالمستشفيات ورسالتها الاجتماعية ، وفي مقدمتهم السلطان قلاوون الذي كان شديد الاهتمام بالبيمارستان الذي أنشأه في القاهرة والذي ما زالت بقاياه موجودة إلى الآن ، كان المريض يلقى رعاية اجتماعية مدة وجوده في هذا المستشفى تحت إشراف قلاوون نفسه ، وكان عند تقرير خروجه بعد علاجه يعطى بضع قطع من الذهب حتى لا يضطر للعمل وهو في فترة النقاهة[٢٨] .

إقامة الربط

كان السلف الصالح يقيم الربط للعناية بالنساء المنقطعات والأرامل منهن والمسنات اللواتي لا معيل لهن ، ولا قدرة لهن على العمل ، حفاظًا عليهن من التشرد والضياع ، أو اضطرارهن إلى ممارسة الأعمال المرهقة ، دونما رحمة لشيخوختهن أو امتهان لكرامتهن .

ومن هذه الرباطات : ما أمرت بإنشائه السيدة فوز جارية علي بن أحمد الجرجاني الوزير ، بجوار مسجدها وأوقفته على أم الخير الحجازية الواعظة ، وكانت الحجازية واعظة زمانها وقد تصدرت حلقات الدروس في جامع عمرو بن العاص حوالي سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م ، كما عنيت بتثقيف المقيمات بهذا الرباط ، ورباط الأندلس ، ورباط البغدادية ، ورباط سنقر السعدي وخانقاه أم أنواك[٢٩] .

الإسلام والرعاية الاجتماعية

لا شك أن الناس متفاوتون في قدراتهم على العمل سواء أكان ذلك من جهة القوة الجسمية، أو من جهة القوة الفكرية أو المعنوية بوجه عام ، وهم متفاوتون في ذلك ما بين العجز الكامل عن العمل ـ سواء أكان هذا العجز فطريًا من أصل الخلقة أم طارئًا بسبب شيخوخة أو إصابة أو مرض والقدرة الكاملة على القيام بأرفع الأعمال الفكرية من علمية وسياسية وإدارية وغيرها.

وتختلف المذاهب والنظم في الموقف الذي تتخذه أمام هذه المشكلة والطريقة التي تسلكها لحلها

---

٢٨ د. محمد عبد المنعم نور : الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل ص١٠ .

٢٩ عمر محمود عبد الله : الطب الوقائي في الإسلام ص٢٠٣ .

لقد كان الإخاء تجربة رائدة من تجارب العدل الاجتماعي ، ضرب الرسول فيها مثلا على مرونة الإسلام وانفتاحه ـ في الظرف المناسب ـ على أشد أشكال العلاقات الاجتماعية مساواة وعدلا[٤٢].

ثانياً : الرحمة :

ربى الإسلام المسلمين على الرحمة تلك العاطفة الكريمة التي هي مصدر جميع القيم الإنسانية والأخلاقية ، قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[٤٣] .

ثالثاً : المساواة والعدالة :

حرص الإسلام على أن يؤكد في جلاء ووضوح المساواة التامة بين جميع البشر في المسئوليات والحقوق العامة وأن التفضيل لا يكون إلا بالأعمال .

رابعاً : التعاون على البر والتقوى :

طلب الله من المسلمين أن يسود التعاون فيما بينهم ، فقال :﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[٤٤] .

خامساً : الشورى :

الشورى في نظر الإسلام هي نهج في الحياة إذ يحمل كل فرد في المجتمع مسئولية اجتماعية في إصلاح مجتمعه والمساهمة في رقيه .

وهي واضحة في حقوق الأفراد والجماعات وفي علاقة الأبناء والآباء والزوجات بالأزواج والحاكم والمحكوم[٤٥] .

سادسا : الإيثار :

هو أرقى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في سلم الأخلاق الإنسانية ، فهو من أدل الفضائل الرفيعة على صدق الإيمان وصفاء النفس وكرمها ، قال تعالى : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[٤٦] .

---

٤٢ د. عماد الدين خليل : العدل الاجتماعي ص ٧٩-٨١ .

٤٣ سورة الأنبياء : آية رقم (١٠٧) .

٤٤ سورة المائدة آية رقم (٢) .

٤٥ د. سيد فهمي : الرعاية الاجتماعية من المنظور الإسلامي ص ٤٩-٥٠ .

٤٦ سورة الحشر : آية رقم (٩) .